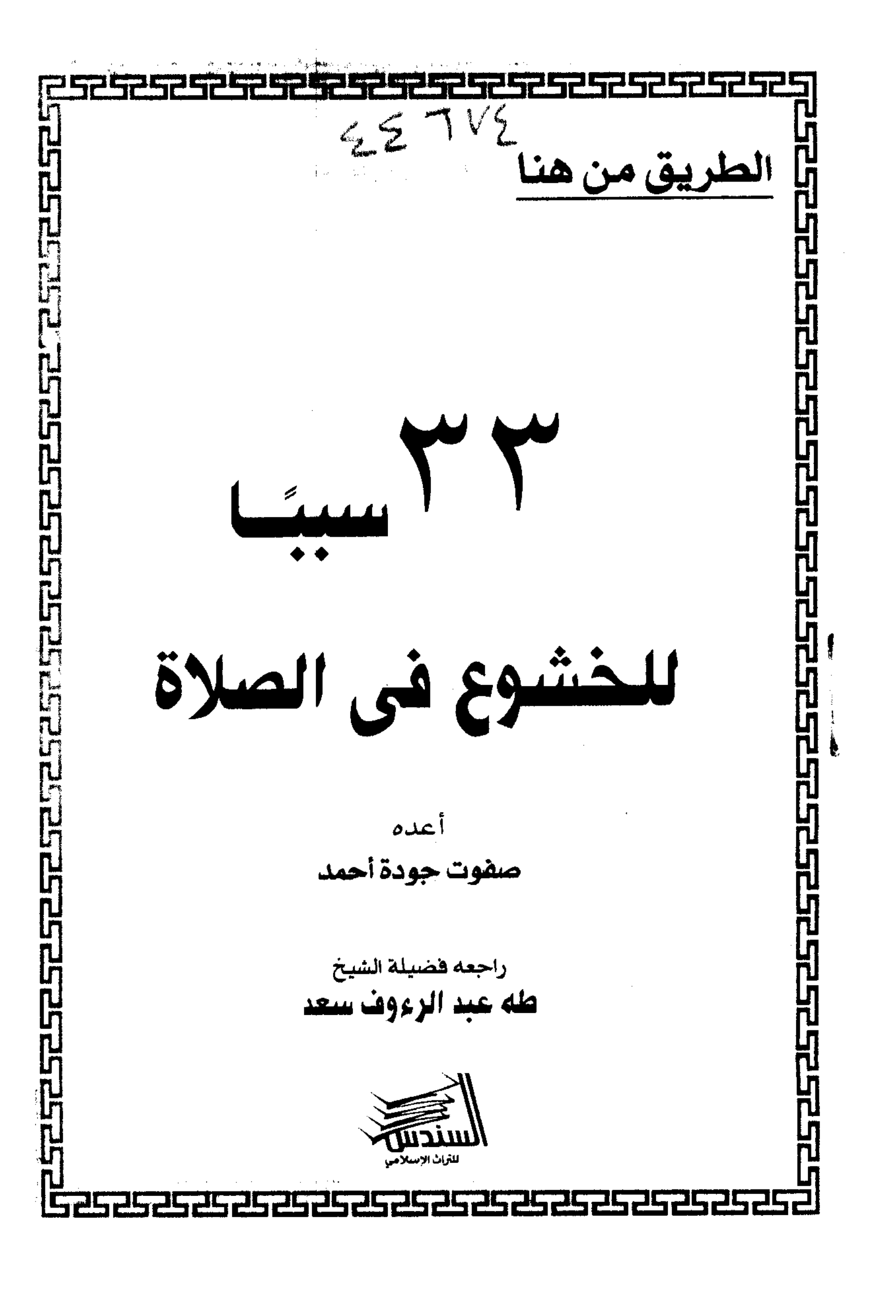


الطريق من هنا

٣٣ سببًا للخشوع فى الصلاة

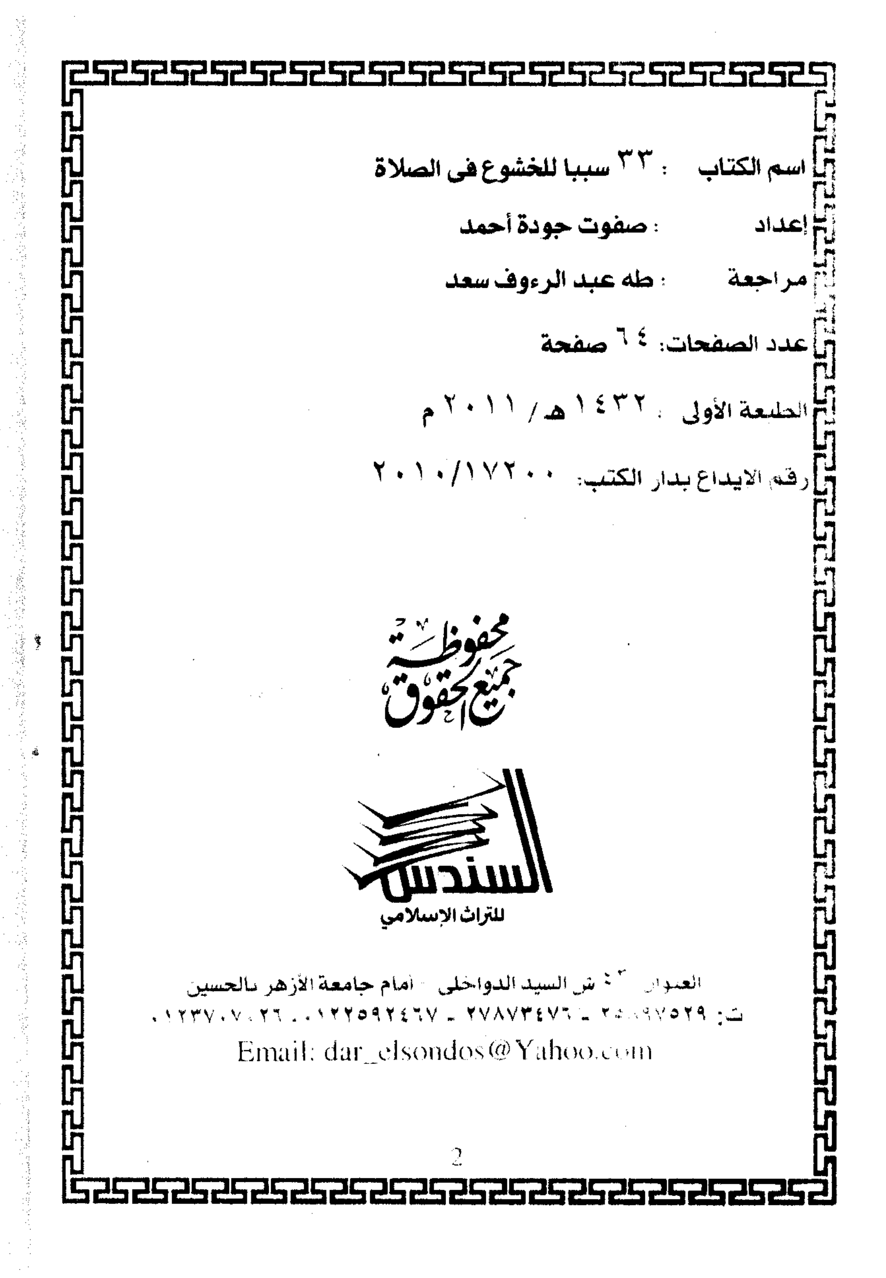
أعده

صفوت جودة أحمد

راجعه فضيلة الشيخ

طه عبد الرءوف سعد

السندس للتراث الإسلامي



اسم الكتاب : ٣٣ سببا للخشوع فى الصلاة

إعداد : صفوت جودة أحمد

مراجعة : طه عبد الرءوف سعد

عدد الصفحات: ٦٤ صفحة

الطبعة الأولى : ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م

رقم الايداع بدار الكتب: ٢٠١٠/١٧٢٠٠

السندس للتراث الإسلامي

العنوان ٣٤ ش السيد الدواخلى - امام جامعة الأزهر بالحسين

ت: ٢٥٠٩٧٥٢٩ - ٢٧٨٧٣٤٧٦ - ٠١٢٢٥٩٢٤٦٧ ، ٠١٢٣٧٠٧٠٢٦ ،

Email: dar_elsondos@Yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي قال في كتابه المبين: ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ {البقرة: ٢٣٨}، وقال عن الصلاة: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴾ {البقرة: ٤٥}، والصلاة والسلام على إمام المتقين وسيد الخاشعين محمد رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد..

فإن الصلاة أعظم أركان الدين العملية، والخشوع فيها من المطالب الشرعية، ولما كان عدو الله إبليس قد أخذ العهد على نفسه بإضلال بني آدم وفتنتهم، فقال: ﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَـٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ ﴾{الأعراف: ١٧}، صار من أعظم كيده صرف الناس عن الصلاة بشتى الوسائل، والوسوسة لهم فيها لحرمانهم لذة هذه العبادة وإضاعة أجرهم وثوابهم، ولما كان الخشوع أول ما يُرفع من الأرض

ونحن في آخر الزمان، انطبق فينا قول حذيفة ﷺ: أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة، ورُبَّ مصلٍّ لاخير فيه، ويوشك أن تدخل المسجد فلا ترى فيهم خاشعا (المدارج ١/٥٢١).

ومما يلمسه المرء من نفسه ويسمعه من كثرة المشتكين من حوله بشأن قضية الوساوس في الصلاة، وفقدان الخشوع؛ تتبين الحاجة إلى الحديث عن هذا الموضوع، وفيما يلي تذكرة لنفسي ولإخواني المسلمين أسأل الله أن ينفع بها:

فقد قال الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ {المؤمنون: ١ - ٢}

أي خائفون ساكنون، و"الخشوع" هو السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع والحامل عليه الخوف من الله ومراقبته. " تفسير ابن كثير"، والخشوع هو قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل.

ويروى عن مجاهد قال: (قوموا لله قانتين): فمن القنوت: الركوع والخشوع، وغض البصر، وخفض الجناح من رهبة الله عز وجل (تعظيم قدر الصلاة ١٨٨/١، ومحل الخشوع في القلب وثمرته على الجوارح).

والأعضاء تابعة للقلب فإذا فسد خشوعه بالغفلة والوساوس فسدت عبودية الأعضاء والجوارح فإن القلب كالملك والأعضاء كالجنود له فبه يأتمرون وعن أمره يصدرون فإذا عُزل الملك وتعطّل بفقد القلب لعبوديته ضاعت الرعية وهي الجوارح، وأما التظاهر بالخشوع ممقوت.

ومن علامات الإخلاص:

إخفاء الخشوع

كان حذيفة ﷺ يقول: (إياكم وخشوع النفاق فقيل له: وما خشوع النفاق قال: أن ترى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع. وقال الفضيل بن عياض: كان يُكره أن يُري الرجل من الخشوع أكثر مما في قلبه. ورأى بعضهم رجلا خاشع المنكبين والبدن فقال: يا فلان، الخشوع ها هنا وأشار إلى صدره، لا ها هنا) وأشار إلى منكبيه.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى مبيّناً الفرق بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق: "خشوع الإيمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم والإجلال والوقار والمهابة والحياء، فينكسر القلب لله كسرة ملتئمة من الوجل والخجل والحب والحياء وشهود نعم الله، وجناياته هو، فيخشع القلب لا محالة فيتبعه خشوع الجوارح. وأما خشوع النفاق فيبدو على الجوارح تصنعا وتكلفا والقلب غير خاشع، و كان بعض الصحابة يقول: أعوذ بالله من خشوع النفاق، قيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يرى الجسد خاشعا والقلب غير خاشع. فالخاشع لله عبد قد خمدت نيران شهوته، وسكن دخانها عن صدره، فانجلى الصدر وأشرق فيه نور العظمة فماتت شهوات النفس للخوف والوقار الذي حشي به

وخمدت الجوارح وتوقر القلب واطمأن إلى الله وذكره بالسكينة التي نزلت عليه من ربه فصار مخبتا له، والمخبت المطمئن، فإن الخبت من الأرض ما اطمأن فاستنقع فيه الماء، فكذلك القلب المخبت قد خشع واطمأن كالبقعة المطمئنة من الأرض التي يجري إليها الماء فيستقر فيها، وعلامته أن يسجد بين يدي ربه إجلالا له وذلا وانكسارا بين يديه سجدة لا يرفع رأسه عنها حتى يلقاه. فهذا خشوع الإيمان، وأما القلب المتكبر فإنه قد اهتز بتكبره وربا فهو كبقعة رابية من الأرض لا يستقر عليها الماء وأما التماوت وخشوع النفاق فهو حال عند تكلف إسكان الجوارح تصنعا ومراءاة ونفسه في الباطن شابة طرية ذات شهوات وإرادات فهو يتخشع في الظاهر وحية الوادي وأسد الغابة رابض بين جنبيه ينتظر الفريسة. (كتاب الروح).

"والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرّغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها،وحيئذ تكون راحة له وقرة عين كما قال النبي ﷺ: ".... جُعلت قرة عيني في الصلاة" {تفسير ابن كثير ٤٥٦/٦، والحديث في مسند أحمد ١٢٨/٣، وهو في صحيح الجامع ٣١٢٤}.

وقد ذكر الله الخاشعين والخاشعات في صفات عباده الأخيار وأخبر ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمًا﴾ {الأحزاب: ٣٥}.

ومن فوائد الخشوع أنه يخفف أمر الصلاة على العبد قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ {البقرة: ٤٥} والمعنى: أي مشقة الصلاة ثقيلة إلا على الخاشعين (تفسير ابن كثير ١/ ١٢٥).

والخشوع أمر عظيم شأنه، سريع فقده، نادر وجوده خصوصا في زماننا وهو من آخر الزمان قال النبي ﷺ: (أول شيء يرفع من هذه الأمة الخشوع، حتى لا ترى فيها خاشعا). {قال الهيثمي في المجمع ٢/١٣٦: رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن وهو في صحيح الترغيب رقم ٥٤٣ وقال: صحيح}.

"قال بعض السلف الصلاة كجارية تُهدى إلى ملك الملوك فما الظن بمن يُهدي إليه جارية شلّاء أو عوراء أو عمياء أو مقطوعة اليد والرِّجل أو مريضة أو دميمة أو قبيحة، حتى يهدي إليه جارية ميتة بلا روح.. فكيف بالصلاة يهديها العبد ويتقرب بها إلى ربه تعالى؟ والله طيب لا يقبل إلا طيباً وليس من العمل الطيب: صلاة لا روح فيها. كما أنّه ليس من العتق الطيب عتق عبد لا روح فيه." (المدارج ١/٥٢٦).

حكم الخشوع

والراجح في حكم الخشوع أنه واجب. قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: قال الله تعالى ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ {البقرة: ٤٥}، وهذا يقتضي ذم غير الخاشعين.. والذم لا يكون إلا لترك واجب أو فعل محرَّم وإذا كان غير الخاشعين مذمومين دلّ ذلك على وجوب الخشوع.. ويدل على وجوب الخشوع فيها أيضا قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ {المؤمنون: ١-٢} إلى قوله﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ {المؤمنون: ١٠}، أخبر سبحانه وتعالى أن هؤلاء هم الذين يرثون فردوس الجنة وذلك يقتضي أنه لا يرثها غيرهم.. وإذا كان الخشوع في الصلاة واجبا وهو المتضمن للسكون والخشوع (هكذا في الأصل ولعلها الخضوع)، فمن نقر نقر الغراب لم يخشع في سجوده وكذلك من لم يرفع رأسه في الركوع ويستقر قبل أن ينخفض لم يسكن لأن السكون هو الطمأنينة بعينها فمن لم يطمئن لم يسكن ومن لم يسكن لم يخشع في ركوعه ولا في سجوده ومن لم يخشع كان آثما عاصيا.. ويدل على وجوب الخشوع في الصلاة أن النبي ﷺ توعد تاركيه كالذي

يرفع بصره إلى السماء فإن حركته ورفعه وهو ضد حال الخاشع.. (مجموع الفتاوى ٢٢/٥٥٣-٥٥٨).

وفي فضل الخشوع ووعيد من تركه يقول النبي ﷺ: (خمس صلوات افترضهن الله تعالى، من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن، وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل، فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له وإن شاء عذّبه). {رواه أبو داود رقم ٤٢٥ وهو في صحيح الجامع ٣٢٤٢}.

وقال عليه الصلاة والسلام في فضل الخشوع أيضا: (من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين يُقبل عليهما بقلبه ووجهه)، وفي رواية: [لا يحدّث فيهما نفسه] غفر له ما تقدّم من ذنبه، وفي رواية: [إلا وجبت له الجنة] (البخاري ط.البغا رقم١٥٨، والنسائي١/٩٥، وهو في صحيح الجامع ٦١٦٦).

وعند البحث في أسباب الخشوع في الصلاة يتبين أنها تنقسم إلى قسمين، الأول: جلب ما يوجد الخشوع ويقويه، والثاني دفع ما يزيل الخشوع ويضعفه، وهو ما عبّر عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيانه لما يعين على الخشوع فقال: -والذي يعين على ذلك شيئان: قوة المقتضى وضعف الشاغل.

أما الأول: قوة المقتضى: فاجتهاد العبد في أن يعقل ما يقوله وما يفعلـــه، ويتدبر القراءة والذكر والدعاء، ويستحضر أنه مناجٍ لله تعالى كأنـــه يراه. فإن المصلي إذا كان قائما فإنما يناجي ربه.

والإحسان: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك). ثـــم كلما ذاق العبد حلاوة الصلاة كان انجذابه إليها أوكد، وهـــذا يكـــون بحسب قوة الإيمان.

والأسباب المقوية للإيمان كثيرة: ولهذا كان النبي ﷺ يقول: (حبـــب إليَّ من دنياكم: النساء والطيب، وجُعلت قرة عيني في الصلاة) وفي حديث آخر قال: (أرحنا بالصلاة يا بلال) ولم يقل: أرحنا منها.

أما الثاني: زوال العارض: فهو الاجتهاد في دفع ما يشغل القلب من تفكر الإنسان فيما لا يعنيه، وتدبر الجواذب التي تجذب القلب عن مقصود الصلاة، وهذا في كل عبد بحسبه، فإن كثرة الوسواس بحسب كثـــرة الشبهات والشهوات، وتعليق القلب بالمحبوبات التي ينصرف القلـــب إلى طلبها، والمكروهات التي ينصرف القلب إلى دفعهـــا. {مجمـــوع الفتاوى ٢٢/٦٠٦-٦٠٧}.

وبناء على هذا التقسيم نستعرض فيما يلي طائفة من أسباب الخشوع في الصلاة:

أولا: الحرص على ما يجلب الخشوع ويقويه وهذا يكون بأمور منها:

(١) الاستعداد للصلاة والتهيؤ لها: ويحصل ذلك بأمور منها الترديد مع المؤذن والإتيان بالدعاء المشروع بعده "اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته"، والدعاء بين الأذان والإقامة، وإحسان الوضوء والتسمية قبله والذكر والدعاء بعده (أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله)، (اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين)، والاعتناء بالسواك وهو تنظيف وتطييب للفم الذي سيكون طريقا للقرآن بعد قليل لحديث: (طهروا أفواهكم للقرآن) {رواه البزار، وقال: لا نعلمه عن علي بأحسن من هذا الإسناد كشف الأستار١/٢٤٢، وقال الهيثمي: رجاله ثقات ٢/٩٩، وقال الألباني إسناده جيد: الصحيحة ١٢١٣}.

وأخذ الزينة باللباس الحسن النظيف، قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ {الأعراف: ٣١}، والله عز وجل أحق من تُزيِّن له، كما أن الثوب الحسن الطيب الرائحة يعطي صاحبه راحة نفسية بخلاف ثوب النوم والمهنة، وكذلك الاستعداد بستر

العورة وطهارة البقعة والتبكير وانتظار الصلاة، وكذلك تسوية الصفوف والتراص فيها لأن الشياطين تتخلل الفُرَج بين الصفوف.

(٢) الطمأنينة في الصلاة: (كان النبي ﷺ يطمئن حتى يرجع كل عظم إلى موضعه) {صحح إسناده في صفة الصلاة ص: ١٣٤ ط.١١ وعند ابن خزيمة نحوه كما ذكر الحافظ في الفتح ٣٠٨/٢}، وأمر بذلك المسيء صلاته وقال له: (لا تتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك). {رواه أبو داود ٥٣٦/١ رقم ٨٥٨}.

عن أبي قتادة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: (أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته، قال يا رسول الله: كيف يسرق صلاته، قال: (لا يتم ركوعها ولا سجودها) {رواه أحمد والحاكم ٢٩٩/١ وهو في صحيح الجامع ٩٩٧}.

وعن أبي عبد الله الأشعري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: (مثل الذي لا يتمُّ ركوعه، وينقر في سجوده، مثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين، لا يغنيان عنه شيئا) {رواه الطبراني في الكبير ١١٥/٤ وقال في صحيح الجامع: حسن}.

والذي لا يطمئن في صلاته لا يمكن أن يخشع لأن السرعة تذهب بالخشوع ونقر الغراب يذهب بالثواب.

(٣) تذكر الموت في الصلاة: لقوله ﷺ: (اذكر الموت في صلاتك، فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحريٌّ أن يحسن صلاته، وصلِّ

صلاة رجل لا يظن أنه يصلي غيرها) (السلسلة الصحيحة للألباني ١٤٢١ ونقل عن السيوطي تحسين الحافظ ابن حجر رحمه الله لهذا الحديث).

وفي هذا المعنى أيضا وصية النبي ﷺ لأبي أيوب ﷺ لما قال له: (إذا قمت في صلاتك فصلِّ صلاة مودِّع) (رواه أحمد ٥/٤١٢، وهو في صحيح الجامع رقم ٧٤٢)، يعني صلاة من يظن أنه لن يصليَ غيرها وإذا كان المصلي سيموت ولابد، فإن هناك صلاة مّا هي آخر صلاة له فليخشع في الصلاة التي هو فيها فإنه لا يدري لعلها تكون هذه هي.

(٤) تدبر الآيات المقروءة وبقية أذكار الصلاة والتفاعل معها: القرآن نزل للتدبر {كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبروا آياته وليذكّر أولوا الألباب} ولا يحصل التدبر إلا بالعلم بمعنى ما يقرأ فيستطيع التفكّر فينتج الدمع والتأثر قال الله تعالى: {والذين إذا ذُكِّروا بآيات ربهم لم يخرّوا عليها صمّا وعميانا}، وهنا يتبين أهمية الاعتناء بالتفسير قال ابن جرير رحمه الله: "إني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله (أي: تفسيره) كيف يلتذ بقراءته. (مقدمة تفسير الطبري لمحمود شاكر ١/١٠).

ولذلك فمن المهم لقارئ القرآن أن ينظر في تفسير، ولو مختصر مع التلاوة مثل كتاب زبدة التفسير للأشقر المختصر من تفسير الشوكاني وتفسير العلامة ابن سعدي المسمى: "تيسير الكريم

الرحمن في تفسير كلام المنان "وإن لم يكن فكتاب في شرح الكلمات الغريبة مثل: "المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن"، لعبد العزيز السيروان فإنه جمع فيه أربعة كتب من كتب غريب القرآن، ومما يُعين على التدّبر كثيرا ترديد الآيات لأنه يعين على التفكّر ومعاودة النظر في المعنى.

وكان النبي ﷺ يفعل ذلك فقد جاء أنه ﷺ: "قام ليلة بآية يرددها حتى أصبح وهي: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ {المائدة: ١١٨} {رواه ابن خزيمة ٢٧١/١، وأحمد ١٤٩/٥، وهو في صفة الصلاة ص: ١٠٢}.

وكذلك فإن مما يعين على التدبر التفاعل مع الآيات كما روى حذيفة قال: (صليت مع رسول الله ذات ليلة.. يقرأ مسترسلا، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ) {رواه مسلم رقم ٧٧٢}، وفي رواية: (صليت مع رسول الله ليلة، فكان إذا مر بآية رحمة سأل، وإذا مر بآية عذاب تعوذ، وإذا مر بآية فيها تنزيه لله سبح) (تعظيم قدر الصلاة ٣٢٧/١، وقد جاء هذا في قيام الليل).

وقام أحد الصحابة "وهو قتادة بن النعمان ﷺ" الليل لا يقرأ إلا ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ {الإخلاص: ١} يرددها لا يزيد عليها (البخاري: الفتح ٥٩/٩ وأحمد ٤٣/٣).

وقال سعيد بن عبيد الطائي: سمعت سعيد بن جبير يؤمهم في شهر رمضان وهو يردّد هذه الآية: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ {غافر: ٧١ - ٧٢}.

وقال القاسم رأيت سعيد بن جبير قام ليلة يصلي فقرأ: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾ {آل عمران: ١٦١}، فرددها بضعا وعشرين مرة. وقال رجل من قيس يُكنَى أبا عبد الله: بتنا ذات ليلة عند الحسن فقام من الليل فصلى فلم يزل يردد هذه الآية حتى السّحر: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ {النحل: ١٨}، فلما أصبح قلنا: يا أبا سعيد لم تكد تجاوز هذه الآية سائر الليل، قال: أرى فيها معتَبرًا، ما أرفع طرفا ولا أردّه إلا وقد وقع على نعمة وما لا يُعلم من نعم الله أكثر. التذكار للقرطبي.

وكان هارون بن رباب الأسيدي يقوم من الليل للتهجد فربما ردد هذه الآية حتى يُصبح: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ {الأنعام: ٢٧}، ويبكي حتى يُصبح.

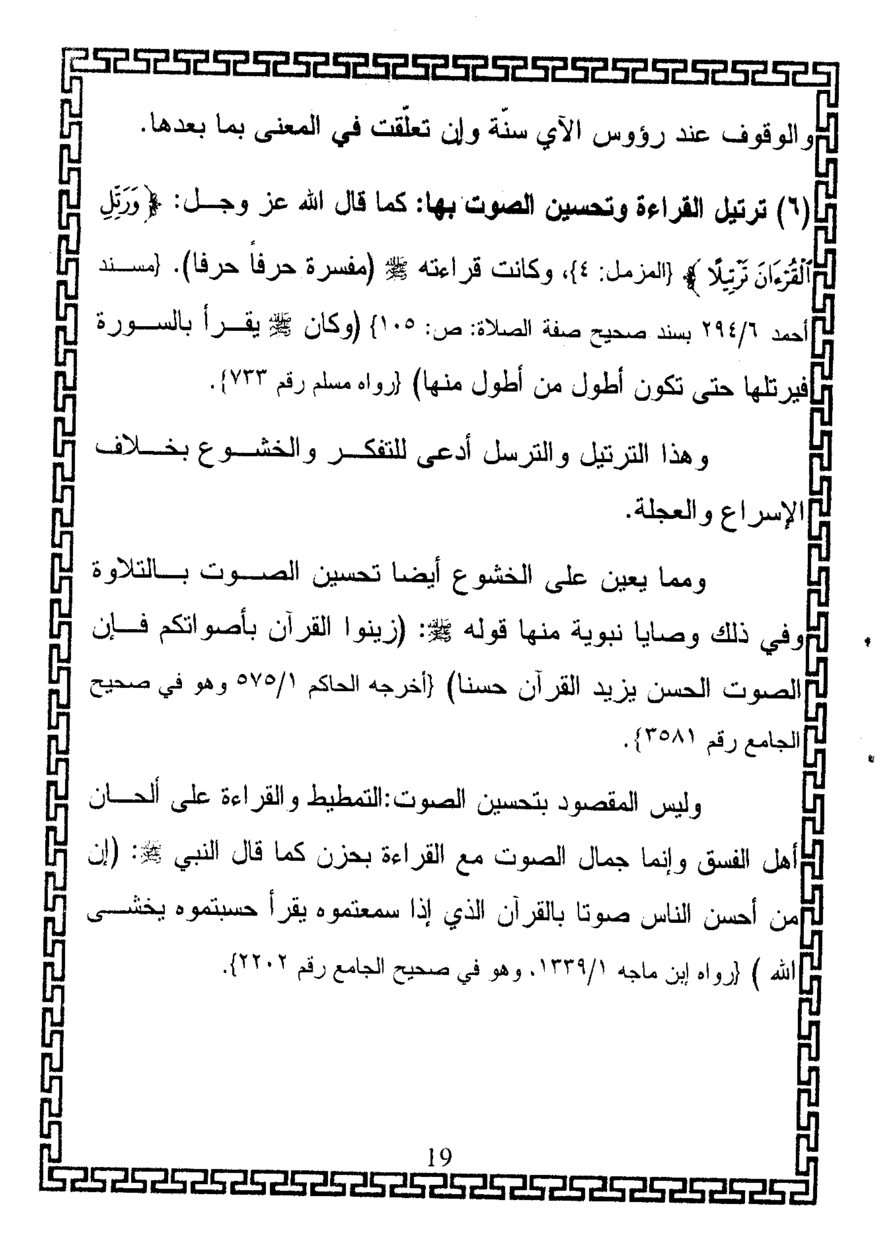
ومما يعين على التدبر أيضا حفظ القرآن والأذكار المتنوعة في الأركان المختلفة ليتلوَها ويذكرها ليتفكّر فيها.

ولا شك أن هذا العمل -من التدبر والتفكر والترديد والتفاعل- من أعظم ما يزيد الخشوع كما قال الله تعالى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ {الإسراء: ١٠٩}، وفيما يلي قصة مؤثرة يتبين فيها تدبره وخشوعه ﷺ مع بيان وجوب التفكر في الآيات، عن عطاء قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها فقال ابن عمير: حدّثينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله ﷺ، فبكت وقالت: قام ليلة من الليالي فقال: يا عائشة ذريني أتعبّد لربي، قالت: قلت: والله إني لأحبّ قربك، وأحب ما يسرّك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، فلم يزل يبكي حتى بلّ حجره، ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلّ الأرض، وجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله، تبكي وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا؟ لقد نزلت عليّ الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم

يتفكّر ما فيها: ((إن في خلق السموات والأرض... الآية)) {رواه ابـن حبّان وقال في السلسلة الصحيحة رقم ٦٨: وهذا إسناد جيد}.

ومن التجاوب مع الآيات التأمين بعد الفاتحة وفيه أجر عظيم، قال رسول الله ﷺ: (إذا أمَّنَ الإمام فأمِّنُوا فإنه مَن وافق تأمينُـهُ تـأمينَ الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبـه) {رواه البخـاري رقـم ٧٤٧}، وهكـذا التجاوب مع الإمام في قوله سمع الله لمن حمده فيقول المأموم ربنا ولك الحمد وفيه أجر عظيم فعن رفاعة بن رافع الزرقي قـال: كنـا يومـا نصلي وراء النبي ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة قال: سـمع الله لمـن حمده، قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيـه، فلما انصرف قال: من المتكلم، قال: أنا، قال: رأيت بضـعة وثلاثـين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أولَ. {رواه البخاري الفتح ٢/٢٨٤}.

(٥) أن يقطّع قراءته آيةً آية: وذلك أدعى للفهم والتدبر وهي سـنة النبي ﷺ كما ذكرت أم سلمة رضي الله عنها قراءة رسـول الله ﷺ: (بسـم الله الرحمن الرحيم، وفي رواية: ثم يقـف ثـم يقـول، الحمـد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، وفي رواية: ثم يقف ثم يقول: مالك يـوم الدين)، يقطّع قراءته آيةً آية (رواه أبو داود رقم ٤٠٠١ وصححه الألباني في الإرواء وذكر طرقه ٢/٦٠).



والوقوف عند رؤوس الآي سنّة وإن تعلّقت في المعنى بما بعدها.

(٦) ترتيل القراءة وتحسين الصوت بها: كما قال الله عز وجـل: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ {المزمل: ٤}، وكانت قراءته ﷺ (مفسرة حرفاً حرفا). {مسـند أحمد ٢٩٤/٦ بسند صحيح صفة الصلاة: ص: ١٠٥} (وكان ﷺ يقـرأ بالسـورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها) {رواه مسلم رقم ٧٣٣}.

وهذا الترتيل والترسل أدعى للتفكـر والخشـوع بخـلاف الإسراع والعجلة.

ومما يعين على الخشوع أيضا تحسين الصـوت بـالتلاوة وفي ذلك وصايا نبوية منها قوله ﷺ: (زينوا القرآن بأصواتكم فـإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا) {أخرجه الحاكم ٥٧٥/١ وهو في صحيح الجامع رقم ٣٥٨١}.

وليس المقصود بتحسين الصوت:التمطيط والقراءة على ألحـان أهل الفسق وإنما جمال الصوت مع القراءة بحزن كما قال النبي ﷺ: (إن من أحسن الناس صوتا بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشـى الله) {رواه إبن ماجه ١٣٣٩/١، وهو في صحيح الجامع رقم ٢٢٠٢}.

(٧) **أن يعلم أن الله يُجيبه في صلاته:** قال النبي ﷺ: (قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال: الحمد لله رب العالمين، قال الله: حمدني عبدي فإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله: أثنى عليَّ عبدي، فإذا قال: مالك يوم الدين، قال الله: مجّدني عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال الله: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل)، {صحيح مسلم كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة}.

وهذا حديث عظيم جليل لو استحضره كل مصلٍّ لحصل له خشوع بالغ ولوجد للفاتحة أثرا عظيما كيف لا وهو يستشعر أن ربّه يخاطبه ثم يعطيه سؤله.

وينبغي إجلال هذه المخاطبة وقدرها حقّ قدرها، قال رسول الله ﷺ: (إن أحدكم إذا قام يصلي فإنما يناجي ربه فلينظر كيف يناجيه) {مستدرك الحاكم ٢٣٦/١، وهو في صحيح الجامع رقم ١٥٣٨}.

(٨) **الصلاة إلى سترة والدنو منها:** من الأمور المفيدة لتحصيل الخشوع في الصلاة الاهتمام بالسترة والصلاة إليها فإن ذلك أقصر

لنظر المصلي وأحفظ له من الشيطان، وأبعد له عن مرور الناس بين يديه فإنه يشوّش ويُنقص أجر المصلي.

قال النبي ﷺ: (إذا صلى أحدكم فليصل إلى سترة وليدن منهـا) {رواه أبو داود رقم ٦٩٥ -١/٤٤٦، وهو في صحيح الجامع رقم ٦٥١}.

وللدنو من السترة فائدة عظيمة، قال عليه الصلاة والسلام: (إذا صلى أحدكم إلى سترة فليدن منها لا يقطع الشيطان عليه صلاته) {رواه أبو داود رقم ٦٩٥ -١/٤٤٦، وهو في صحيح الجامع رقم ٦٥٠}، والسنّة في الدنوّ من السترة أن يكون بينه وبين السترة ثلاثة أذرع وبينها وبين موضع سجوده ممرّ شاة كما ورد في الأحاديث الصحيحة. {البخاري أنظر الفتح ١/٥٧٤، ٥٧٩}.

وأوصى النبي ﷺ المصلي بأن لا يسمح لأحد أن يمرّ بينه وبين سترته فقال: (إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحدا يمر بين يديه، و ليدرأه ما استطاع فإن أَبَى فليقاتله فإن معه القرين) "الشيطان" {رواه مسلم ١/٢٦٠، وهو في صحيح الجامع رقم ٧٥٥}.

قال النووي رحمه الله تعالى: "والحكمة في السترة كفّ البصر عما وراءه ومنع من يجتاز بقربه..، وتمنع الشيطان المرور والتعرض لإفساد صلاته" {شرح صحيح مسلم ٤/٢١٦}.

(٩) **وضع اليمنى على اليسرى على الصّدر**: كان النبي ﷺ إذا قام في الصلاة (وضع يده اليمنى على اليسرى) {مسلم رقم٤٠١}، و(كان يضعهما على الصدر) {أبوداود رقم٧٥٩، وانظر إرواء الغليل ٢/٧١}.

وقال رسول الله ﷺ: (إنا معشر الأنبياء أُمرنا..أن نضع أيماننا على شمائلنا في الصلاة) {رواه الطبراني في المعجم الكبير رقم١١٤٨٥}، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح؛ المجمع ٣/١٥٥}.

وسئل الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن المراد بوضع اليدين إحداهما على الأخرى حال القيام فقال: هو ذلّ بين يدي العزيز (الخشوع في الصلاة). {ابن رجب ص:٢١}.

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: قال العلماء: الحكمة في هذه الهيئة أنها صفة السائل الذليل وهو أمنع من العبث وأقرب إلى الخشوع. {فتح الباري ٢/٢٢٤}.

(١٠) **النظر إلى موضع السجود**: لما ورد عن عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله ﷺ إذا صلى طأطأ رأسه ورمى ببصره نحو الأرض) {رواه الحاكم ١/٤٧٩، وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الألباني صفة الصلاة ص ٨٩}، (ولما دخل الكعبة ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج

عنها). {رواه الحاكم في المستدرك ١/٤٧٩، وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، قال الألباني وهو كما قالا؛ إرواء الغليل ٢/٧٣}.

أما إذا جلس للتشهد فإنه ينظر إلى أصبعه المشيرة وهو يحركها لما جاء عنه ﷺ أنه كان إذا جلس للتشهد (يشير بأصبعه التي تلي الإبهام إلى القبلة ويرمي ببصره إليها) {رواه ابن خزيمة ١/٣٥٥ رقم ٧١٩، وقال المحقق: إسناده صحيح وانظر صفة الصلاة ص: ١٣٩}، وفي رواية (وأشار بالسبابة ولم يجاوز بصره إشارته) {رواه أحمد ٤/٣ وأبو داود رقم ٩٩٠}.

مسألة

وهنا سؤال يدور في أذهان بعض المصلين وهو: ما حكم إغماض العينين في الصلاة خصوصا وأن المرء قد يحس بمزيد من الخشوع إذا فعل ذلك؟.

والجواب: أن ذلك مخالف للسنة الواردة عن النبي ﷺ كما تقدّم قبل قليل كما أن الإغماض يفوّت سنة النظر إلى موضع السجود وإلى الإصبع. ولكن هناك شيء من التفصيل في المسألة فلندع الميدان للفارس ولنفسح المكان للعلامة أبي عبد الله ابن القيم يبين الأمر ويجلّيه، قال رحمه الله تعالى: "ولم يكن من هديه ﷺ تغميض عينيه

في الصلاة، وقد تقدّم أنه كان في التشهد يومئ ببصره إلى إصبعه في الدعاء، ولا يُجاوز بصره إشارته...

وقد يدلّ على ذلك مدّ يده في صلاة الكسوف ليتناول العنقود لما رأى الجنة، وكذلك رؤيته النار وصاحبة الهرة فيها وصاحب المحجن، وكذلك حديث مدافعته للبهيمة التي أرادت أن تمرّ بين يديه وردّه الغلام والجارية وحجزه بين الجاريتين، وكذلك أحاديث ردّ السلام بالإشارة على من سلّم عليه، وهو في الصلاة، فإنه إنما كان يشير إلى من يراه، وكذلك حديث تعرُّض الشيطان له فأخذه فخنقه وكان ذلك رؤية عين. {فهذه الأحاديث وغيرها يُستفاد من مجموعها العلم بأنه لم يكن يغمض عينيه في الصلاة}.

وقد اختلف الفقهاء في كراهته، فكرهه الإمام أحمد، وغيره وقالوا: هو فعل اليهود، وأباحه جماعة ولم يكرهوه...، والصواب أن يُقال إن كان تفتيح العين لا يُخلّ بالخشوع فهو أفضل، وإن كان يحول بينه وبين الخشوع لما في قبلته من الزخرفة والتزويق أو غيره مما يشوّش عليه قلبه فهنالك لا يُكره التغميض قطعا، والقول باستحبابه في هذا الحال أقرب إلى أصول الشرع ومقاصده من القول بالكراهة، والله أعلم" {زاد المعاد ٢٩٣/١ ط. دار الرسالة}.

وبهذا يتبين أن السنة عدم الإغماض إلا إذا دعت الحاجة لتلافي أمر يضرّ بالخشوع.

(١١) **تحريك السبابة:** وهذا أمر أهمله كثير من المصلين فضلا عن جهلهم بفائدته العظيمة وأثره في الخشوع.

قال النبي ﷺ: (لهي أشد على الشيطان من الحديد) {رواه الإمام أحمد ١١٩/٢ بسند حسن كما في صفة الصلاة ص: ١٥٩}، "أي أن الإشارة بالسبابة عند التشهد في الصلاة أشد على الشيطان من الضرب بالحديد لأنها تذكّر العبد بوحدانية الله تعالى والإخلاص في العبادة وهذا أعظم شيء يكرهه الشيطان نعوذ بالله منه." {الفتح الرباني للساعاتي ١٥/٤}.

ولأجل هذه الفائدة العظيمة كان الصحابة رضوان الله عليهم يتواصون بذلك ويحرصون عليه ويتعاهدون أنفسهم في هذا الأمر الذي يقابله كثير من الناس في هذا الزمان بالاستخفاف والإهمال، فقد جاء في الأثر ما يلي: (كان أصحاب النبي ﷺ يأخذ بعضهم على بعض. يعني: الإشارة بالإصبع في الدعاء) {رواه ابن أبي شيبة بسند حسن كما في صفة الصلاة ص:١٤١}، وفي المطبوع من أبي شيبة (بإصبع) {انظر المصنف رقم ٩٧٣٢ ج ١٠ ص:٣٨١ ط.الدار السلفية- الهند}.

والسنة في الإشارة بالسبابة أن تبقى مرفوعة متحرّكة مشيرة إلى القبلة طيلة التشهد.

(١٢) التنويع في السور والآيات والأذكار والأدعية في الصلاة: وهذا يُشعر المصلي بتجدد المعاني، والانتقال بين المضامين المتعددة للآيات والأذكار، وهذا ما يفتقده الذي لا يحفظ إلا عددا محدودا من السور (وخصوصا قصارها)، والأذكار، فالتنويع من السنّة، وأكمل في الخشوع.

وإذا تأملنا ما كان النبي ﷺ يتلوه ويذكره في صلاته فإننا نجد هذا التنوع، ففي أدعية الاستفتاح مثلا نجد نصوصا مثل:

(اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما يُنقَّى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرَد).

(وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحيايَّ ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمِرتُ وأنا أول المسلمين).

(سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جَدُّك ولا إله غيرك)

وغير ذلك من الأدعية والأذكار والمصلي يأتي بهذا مـــرة وبهذا مرة وهكذا.

وفي السور التي كان ﷺ يقرؤها في صلاة الفجر نجـد عـددا كثيرا مباركا مثل: (طوال المفصّل كالواقعــة والطــور و ق، وقصـــار المفصّل مثل: إذا الشمس كورت والزلزلة والمعوذتين، وورد أنـــه قـــرأ الروم ويس والصافات، وكان يقرأ في فجر الجمعة بالسجدة والإنسان).

وفي صلاة الظهر ورد أنه كان يقرأ في كلّ من الـــركعتين قدر ثلاثين آية وقرأ بالطارق والبروج والليل إذا يغشى.

وفي صلاة العصر يقرأ في كل من الركعتين قدر خمـــس عشرة آية ويقرأ بالسور التي سبقت في صلاة الظهر.

وفي صلاة المغرب يقرأ بقصار المفصّل كالتين والزيتون، وقرأ بسورة محمد والطور والمرسلات وغيرها.

وفي العشاء كان يقرأ من وسط المفصّـل كـــــ {الشـــمس وضحاها} و{إذا السماء انشقت} وأمر معاذا أن يقرأ بـــــ {الأعلـــى والقلم والليل إذا يغشى}.

وفي قيام الليل كان يقرأ بطوال السور وورد في سنته ﷺ قراءة مائتي ومائة وخمسين آية وكان أحيانا يقصّر القراءة.

وأذكار ركوعه ﷺ متنوعة فبالإضافة إلى: (سبحان ربي العظيم) و(سبحان ربي العظيم وبحمده) يقول: (سُبّوح قُدّوس رب الملائكة والروح) ويقول: (اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت أنت ربي، خشع سمعي وبصري ودمي ولحمي وعظمي وعصبي لله رب العالمين).

وفي الرفع من الركوع يقول بعد (سمع الله لمن حمده): (ربنا ولك الحمد) وأحيانا (ربنا لك الحمد) وأحيانا (اللهم ربنا) و(لك الحمد) وكان يضيف أحيانا (ملء السموات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد)، ويضيف تارة (أهل الثناء والمجد، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ)

وفي السجود بالإضافة إلى (سبحان ربي الأعلى) و(سبحان ربي الأعلى وبحمده) يقول أيضا: (سُبّوح قدوس رب الملائكة والروح) و(سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي) و(اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوّره وشقّ سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين) وغير ذلك.

وفي الجلسة بين السجدتين بالإضافة إلى (رب اغفر لي رب اغفر لي) يقول: (اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني وارفعني واهدني وعافني وارزقني).

وفي التشهد عدد من الصيغ الواردة مثل (التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي... الخ) وكذلك ورد (التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبي... الخ)، وورد (التحيات الطيبات الصلوات لله، السلام عليك أيها النبي... الخ)، فيأتي المصلي مرة بهذا ومرة بهذا.

وفي الصلاة على النبي ﷺ عدّة صيغ منها: (اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعل آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد).

وورد أيضا: (اللهم صلّ على محمد وعلى أهل بيته وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل بيته وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد).

وورد: (اللهم صلّ على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد).

ووردت صيغ أخرى كذلك والسنة أن ينوّع بينها كما تقدّم ولا يمنع أن يواظب على بعضها أكثر من بعض لقوة ثبوتها أو اشتهارها في كتب الحديث الصحيحة أو لأن النبي ﷺ علّمها أصحابه لمّا سألوه عن الكيفية بخلاف غيرها وهكذا. جميع ما تقدّم من النصوص والصيغ من كتاب صفة صلاة النبي ﷺ {للعلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني الذي اجتهد في جمعها من كتب الحديث}.

(١٣) أن يأتي بسجود التلاوة إذا مرّ بموضعه: من آداب التلاوة السجود عند المرور بالسجدة، وقد وصف الله في كتابه الكريم النبيين والصالحين بأنهم ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ {مريم: ٥٨} قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "أجمع العلماء على شرعية السجود هاهنا اقتداء بهم واتباعا لمنوالهم" {تفسير القرآن العظيم ٥/٢٣٨ ط. دار الشعب}.

وسجود التلاوة في الصلاة عظيم وهو مما يزيد الخشوع قال الله عز وجل: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ {الإسراء: ١٠٩}، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه سجد بسورة النجم في صلاته وروى البخاري

رحمه الله في صحيحه (عن أبي رافع قال: صليت مع أبي هريرة ﷺ العتمة [أي: العشاء] فقرأ {إذا السماء انشقت} فسجد فقلت له، قال: سجدت خلف أبي القاسم ﷺ فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه). {صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب الجهر بالعشاء}، فينبغي المحافظة على سجود التلاوة في الصلاة خصوصا وأن سجود التلاوة فيه ترغيم للشيطان وتبكيت له وذلك مما يضعف كيده للمصلي.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا قرأ ابن آدم السجدة، اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله أى الويل للشيطان، أمر (أى ابن آدم) بالسجود فسجد، فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت، فلي النار). {رواه الإمام مسلم في صحيحه رقم ١٣٣}.

(١٤) الاستعاذة بالله من الشيطان: الشيطان عدو لنا ومن عداوته قيامه بالوسوسة للمصلي كي يذهب خشوعه ويلبِّس عليه صلاته "والوسواس يعرض لكل من توجه إلى الله تعالى بذكر أو بغيره، لا بد له من ذلك، فينبغي للعبد أن يثبت ويصبر، و يلازم ما هو فيه من الذكر والصلاة ولا يضجر، فإنه بملازمة ذلك ينصرف عنه كيد الشيطان ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ {النساء: ٧٦}.

وكلما أراد العبد توجها إلى الله تعالى بقلبه جاء من الوسوسة أمور أخرى، فإن الشيطان بمنزلة قاطع الطريق، كلما أراد العبد السير إلى الله تعالى، أراد قطع الطريق عليه، ولهذا قيل لبعض السلف: "إن اليهود والنصارى يقولون: لا نُوسْوَس قال: صدقوا، وما يصنع الشيطان بالبيت الخرب" {مجموع الفتاوى ٢٢/٦٠٨}.

"وقد مثل ذلك بمثال حسن، وهو ثلاثة بيوت: بيت للملك فيه كنوزه وذخائره وجواهره، وبيت للعبد فيه كنوز العبد وذخائره وجواهره وليس جواهر الملك وذخائره، وبيت خال صفر لا شيء فيه، فجاء اللص يسرق من أحد البيوت، فمن أيها يسرق؟" {الوابل الصيب ص: ٤٣}.

"والعبد إذا قام في الصلاة غار الشيطان منه، فإنه قد قام في أعظم مقام وأقربه وأغيظه للشيطان، وأشده عليه فهو يحرص ويجتهد كل الاجتهاد أن لا يقيمه فيه بل لا يزال به يعده ويمنّيه وينسيه، ويجلب عليه بخيله ورجله حتى يهوّن عليه شأن الصلاة، فيتهاون بها فيتركها، فإن عجز عن ذلك منه، وعصاه العبد ،وقام في ذلك المقام، أقبل عدو الله تعالى حتى يخطر بينه وبين نفسه، ويحول بينه وبين قلبه، فيذكّره في الصلاة ما لم يكن يذكر قبل دخوله فيها، حتى ربما كان قد نسي الشيء والحاجة وأيس منها، فيذكره إياها في الصلاة ليشغل قلبه بها، ويأخذه عن

الله عز وجل، فيقوم فيها بلا قلب، فلا ينال من إقبال الله تعالى وكرامته وقربه ما يناله المقبل على ربه عز وجل الحاضر بقلبه في صلاته، فينصرف من صلاته مثلما دخل فيها بخطاياه وذنوبه وأثقاله، لم تُخفَّفْ عنه بالصلاة، فإن الصلاة إنما تكفر سيئات من أدى حقها، وأكمل خشوعها، ووقف بين يدي الله تعالى بقلبه وقالبه" {الوابل الصيب ص٣٦}.

ولمواجهة كيد الشيطان وإذهاب وسوسته أرشدنا النبي ﷺ إلى العلاج التالي:

عن أبي العاص ﷺ قال: يا رسول الله إن الشيطان قد حـــال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبِّسها عليَّ، فقـــال رســـول الله ﷺ: (ذاك شيطان يُقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوّذ بالله منه واتفل على يســـارك ثلاثا). قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني. {رواه مسلم رقم: ٢٢٠٣}.

ومن كيد الشيطان للمصلي ما أخبرنا عنه ﷺ وعن علاجه فقال: (إن أحدكم إذا قام يصلي جاء الشيطان فلبَّس عليه -يعني خلط عليه صلاته وشككه فيها- حتى لا يدري كم صلى، فإذا وجد ذلـــك أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس) {رواه البخاري، كتاب الســـهو، بـــاب السهو في الفرض والتطوع}.

ومن كيده كذلك ما أخبرنا عنه رسول الله ﷺ بقولـه:(إذا كـان أحدكم في الصلاة فوجد حركة في دبره أحدث أو لـم يحـدث، فأشـكل عليه، فلا ينصرف حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا) {رواه مسلم رقم ٣٨٩}.

بل إن كيده ليبلغ مبلغا عجيبا كما يوضحه هذا الحديث :عن ابن عباس أن النبي ﷺ سئل عن الرجل يخيّل إليه في صـلاته أنـه أحدث ولم يُحدِث، فقال رسول الله ﷺ: (إن الشيطان يأتي أحدكم وهو في صلاته حتى يفتح مقعدته فيخيل إليه أنه أحدث و لم يُحـدث،فإذا وجد أحدكم ذلك فلا ينصرفن حتى يسمع صوت ذلك بأذنه أو يجـد ريح ذلك بأنفه) {رواه الطبراني في الكبير رقم١١٥٥٦ج:١١ ص:٢٢٢، وقـال في مجمع الزوائد١/٢٤٢، رجاله رجال الصحيح}.

مسألة

وهناك خدعة شيطانية يأتي بها "خنزب" إلى بعض الخيِّرين من المصلين وهي محاولة إشغالهم بالتفكير في أبواب أخـرى مـن الطاعات عن الصلاة التي هم بشأنها، وذلك كإشغال أذهانهم ببعض أمور الدعوة أو المسائل العلمية فيستغرقون فيها فلا يعقلون أجـزاء من صلاتهم، وربما لبَّس عل بعضهم بأن عمر كان يجهِّز الجيش في

الصلاة، ولندع المجال لشيخ الإسلام ابن تيمية يجلي الأمر ويجيب عن هذه الشبهة.

قال رحمه الله تعالى: "وأما ما يروى عن عمر بن الخطاب من قوله: (وإني لأجهز جيشي وأنا في الصلاة)، فذاك لأن عمر كان مأمورا بالجهاد وهو أمير المؤمنين، فهو أمير الجهاد، فصار بذلك من بعض الوجوه بمنزلة المصلي الذي يصلي صلاة الخوف حال معاينة العدو، إما حال القتال، وإما غير حال القتال، فهو مأمور بالصلاة، ومأمور بالجهاد، فعليه أن يؤدي الواجبين بحسب الإمكان.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ {الأنفال: ٤٥}، ومعلوم أن طمأنينة القلب حال الجهاد لا تكون كطمأنينته حال الأمن، فإذا قُدِّر أنه نقص من الصلاة شيء لأجل الجهاد لم يقدح هذا في كمال إيمان العبد وطاعته.

ولهذا تُخفف صلاة الخوف عن صلاة الأمن، ولما ذكر الله سبحانه صلاة الخوف قال: ﴿ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ {النساء: ١٠٣}، فالإقامة المأمور بها حال الطمأنينة لا يؤمر بها حال الخوف.

ومع هذا: فالناس متفاوتون في ذلك، فإذا قوي إيمان العبد كان حاضر القلب في الصلاة، مع تدبره للأمور بها، وعمر قد ضرب الله الحق على لسانه وقلبه، وهو المحدَّث المُلهَم فلا ينكر لمثله أن يكون مع تدبيره جيشه في الصلاة من الحضور ما ليس لغيره، لكن لا ريب أن حضوره مع عدم ذلك يكون أقوى، ولا ريب أن صلاة رسول الله حال أمنه كانت أكمل من صلاته حال الخوف في الأفعال الظاهرة فإذا كان الله قد عفا حال الخوف عن بعض الواجبات الظاهرة فكيف بالباطنة.

وبالجملة فتفكر المصلي في الصلاة [في] أمر يجب عليه، قد يضيق وقته، ليس كتفكره فيما ليس بواجب أو فيما لم يضق وقته، وقد يكون عمر لم يمكن [لعلها: يمكنه] التفكر في تدبير جيشه إلا في تلك الحال، وهو إمام الأمة والواردات عليه كثيرة، ومثل هذا يعرض لكل أحد بحسب مرتبته، والإنسان دائما يذكر في الصلاة ما لا يذكره خارج الصلاة، ومن ذلك ما يكون من الشيطان.

كما أن بعض السلف ذكر له رجل أنه دفن مالا وقد نسي موضعه، فقال: قم فصلِّ، فقام فصلى فذكره، فقيل له، من أين علمت ذلك؟ قال: علمت أن الشيطان لا يدعه في الصلاة حتى يذكره بما يشغله ولا أهم عنده من ذكر موضع الدفن، لكن العبد الكيِّس يجتهد

كمال الحضور مع كمال فعل بقية المأمور، ولا حـول ولا قـوة إلا بالله العلي العظيم. {مجموع الفتاوى ٢٢/٦١٠}.

(١٥) التأمل في حال السلف في صلاتهم: وهذا يزيد الخشوع ويدفع إلى الاقتداء فـ "لو رأيت أحدهم وقد قام إلى صلاته فلما وقف فـي محرابه، واستفتح كلام سيده خطر على قلبه أن ذلك المقام هو المقام الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين، فانخلع قلبه وذهل عقله" {الخشوع في الصلاة ابن رجب ص: ٢٢}.

قال مجاهد رحمه الله: "كان إذا قام أحدهم يصـلي يهـاب الرحمن أن يشد بصره إلى شيء أو يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث بشيء أو يحدث نفسه من شأن الدنيا إلا ناسيا ما دام فـي صـلاته" {تعظيم قدر الصلاة ١/١٨٨}.

كان ابن الزبير إذا قام في الصلاة كأنه عود مـن الخشـوع، وكان يسجد فأتى المنجنيق فأخذ طائفة من ثوبه وهو فـي الصـلاة لا يرفع رأسه، وكان مسلمة بن بشار يصلي في المسجد فانهدم طائفة منه فقام الناس وهو في الصلاة لم يشعر، ولقد بلغنا أن بعضهم كان كالثوب الملقَى، وبعضهم ينفتل من صلاته متغير اللون لقيامه بين يدي الله عـز وجل، وبعضهم إذا كان في الصلاة لا يعرف من على يمينه وشـماله.

وبعضهم يصفر وجهه إذا توضأ للصلاة، فقيل له إنا نراك إذا توضأت للصلاة تغيرت أحوالك، قال: إني أعرف بين يديْ مَن سأقوم، وكان علي بن أبي طالب ﷺ إذا حضرت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه، فقيل له: ما لك؟ فيقول: جاء والله وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتُها، وكان سعيد التنوخي إذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته، وبلغنا عن بعض التابعين أنه كان إذا قام إلى الصلاة تغير لونه، وكان يقول: أتدرون بين يدي من أقف ومن أناجي، فمن منكم لله في قلبه مثل هذه الهيبة؟" {سلاح اليقظان لطرد الشيطان: عبد العزيز السلمان ص: ٢٠٩}.

وقالوا لعامر بن عبد القيس: أتحدّث نفسك في الصلاة فقال: أوَ شيء أحبُ إليّ من الصلاة أحدّث به نفسي! قالوا: إنا لنحدّث أنفسنا في الصلاة، فقال: أبالجنة والحور ونحو ذلك؟ قالوا: لا، ولكن بأهلينا وأموالنا. فقال: لأن تختلف الأسنّة فيّ أحبُ إليّ [أي لأن يكثر طعن الرماح في جسدي أحبّ إلي من أن أحدّث نفسي في الصلاة بأمور الدنيا].

وقال سعد بن معاذ: فيّ ثلاث خصال لو كنت في سائر أحوالي أكون فيهن، لكنت أنا أنا: إذا كنت في الصلاة لا أحدث نفسي بغير ما أنا فيه، وإذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثا لا يقع في قلبي

ريب أنه الحقّ، وإذا كنت في جنازة لم أحدّث نفسي بغير ما تقــول ويقال لها (الفتاوى لابن تيمية ٢٢/٦٠٥).

قال حاتم رحمه الله: "أقوم بالأمر، وأمشي بالخشية، وأدخل بالنية، وأكبّر بالعظمة، وأقرأ بالترتيل والتفكير، وأركع بالخشــوع، وأسجد بالتواضع، وأجلس للتشهد بالتمام، وأسلّم بالنيــة، وأختمهــا بالإخلاص لله عز وجل، وأرجع على نفسي بالخوف أخــاف أن لا يقبل مني وأحفظه بالجهد إلى الموت" {الخشوع في الصلاة ٢٧ – ٢٨}.

قال أبو بكر الصبغي: أدركت إمامين لــم أُرزق السّــماع منهما: أبو حاتم الرازي، ومحمد بن نصر المروزي، فأما ابن نصر فما رأيت أحسن صلاة منه، لقد بلغني أن زنبورا قعد على جبهتــه فسال الدم على وجهه ولم يتحرك.

وقال محمد بن يعقوب الأخرم: ما رأيت أحسن صلاة مــن محمد بن نصر، كان الذباب يقع على أذنه.. فلا يذبّه علــى نفســه، ولقد كنا نتعجب من حسن صلاته وخشوعه وهيبته للصــلاة، كــان يضع ذقنه على صدره كأنه خشبة منصوبة {تعظيم قدر الصلاة ١/٥٨}.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى إذا دخل في الصلاة ترتعد أعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة. {الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية لمرعي الكرمي ص: ٨٣ دار الغرب الإسلامي}.

قارن بين هذا وبين ما يفعله بعضنا اليوم هذا ينظر في ساعته وآخر يصلح هندامه وثالث يعبث بأنفه ومنهم من يبيع ويشتري في الصلاة وربما عدّ نقوده وبعضهم يتابع الزخارف في السّجاد والسقوف أو يحاول التعرّف على من بجانبيه.

ترى لو وقف واحد من هؤلاء بين يدي عظيم من عظماء الدنيا هل يجرؤ على فعل شيء من ذلك.

(١٦) معرفة مزايا الخشوع في الصلاة: ومنها:

- قوله ﷺ: (ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كله) {رواه مسلم ٢٠٦/١ رقم ٧/٤/٢}.

- أن الأجر المكتوب بحسب الخشوع كما قال ﷺ: (إن العبد ليصلي الصلاة ما يكتب له منها إلا عشرها، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها) {رواه الإمام أحمد ٣٢١/٤ وهو في صحيح الجامع ١٦٢٦}.

- أنه ليس له من صلاته إلا ما عقل منها كما جاء عن ابن عبـــاس ﷺ: (ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها).

- أن الأوزار والآثام تنحط عنه إذا صلّى بتمام وخشوع كمـــا قـــال النبي ﷺ: (إن العبد إذا قام يصلي أُتي بذنوبه كلها فوضـــعت علـــى رأسه وعاتقيه فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه) {رواه البيهقي في السنن الكبرى ٣/١٠ وهو في صحيح الجامع}.

قال المناوي: "المراد أنه كلما أتم ركناً سقط عنه ركن من الذنوب حتى إذا أتمها تكامل السقوط وهذا في صلاة متوفرة الشروط والأركان والخشوع كما يؤذن به لفظ "العبد" و"القيام" إذ هو إشـــارة إلى أنه قام بين يدي ملك الملوك مقام عبد ذليل" {رواه البيهقي في السنن الكبرى ٣/١٠ وهو في صحيح الجامع}.

- أن الخاشع في صلاته "إذا انصرف منها وجد خفّة مـــن نفســـه، وأحس بأثقال قد وضعت عنه، فوجد نشاطا وراحة وروحـــا، حتـــى يتمنى أنه لم يكن خرج منها، لأنها قرّة عينه ونعيم روحـــه، وجنـــة قلبه، ومستراحه في الدنيا، فلا يزال كأنه في سجن وضـــيق حتـــى يدخل فيها، فيستريح بها، لا منها، فالمحبون يقولون: نصلي فنستريح

بصلاتنا، كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيهم ﷺ: (يا بلال أرحنا بالصلاة)، ولم يقل أرحنا منها.

وقال ﷺ: (جعلت قرة عيني بالصلاة) فمن جُعلت قرّة عينه في الصلاة، كيف تقرّ عينه بدونها وكيف يطيق الصبر عنها؟ {الوابل الصيّب ٣٧}.

(١٧) الاجتهاد بالدعاء في مواضعه في الصلاة وخصوصا في السجود: لاشك أن مناجاة الله تعالى، والتذلل إليه والطلب منه والإلحاح عليه مما يزيد العبد صلة بربّه فيعظم خشوعه، والدعاء هو العبادة والعبد مأمور به قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً ﴾ {الأعراف: ٥٥} و(**من لم يسأل الله يغضب عليه**) {رواه الترمذي كتاب الدعوات ١/٤٢٦ وحسنه في صحيح الترمذي ٢٦٨٦}، وقد ثبت الدعاء في الصلاة عن النبي ﷺ في مواضع معينة هي السجود وبين السجدتين بعد التشهد وأعظم هذه المواضع السجود لقوله ﷺ: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد **فأكثروا الدعاء**) {رواه مسلم كتاب الصلاة باب مايقال في الركوع والسجود رقم ٢١٥}، وقال: (... أما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقَمَن -أي حريّ وجدير- أن يُستجاب لكم) {رواه مسلم كتاب الصلاة باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود رقم ٢٠٧}.

ومن أدعيته ﷺ في سجوده: (اللهم اغفر لـــي ذنبـــي دِقّـــه وجِلّه، وأوله وآخره ،وعلانيته وسره) {رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يُقال في الركوع والسجود رقم ٢١٦}، وكذلك (اللهم اغفر لي ما أســـررت وما أعلنت) {أخرجه النسائي:المجتبى٢/٥٦٩، وهو في صحيح النسائي١٠٦٧}، وقد تقدّم بعض ماكان يدعو به بين السجدتين {انظر السبب رقم١١}.

ومما كان يدعو به ﷺ بعد التشهد ماعلمناه بقوله: "(إذا فـــرغ أحدكم من التشهد فليستعذ بالله من أربع؛ من عذاب جهنم، ومن عـــذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال)، وكان يقول (اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمـــل). (اللهـــم حاسبني حسابا يسيرا)، وعلّم أبا بكر الصديق ﷺ أن يقول: (اللهم إنـــي ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفـــرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم)، وسمع رجلا يقول فـــي تشهده: (اللهم إني أسألك يا الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولـــم يكن له كفوا أحد أن تغفر لي ذنوبي إنك أنت الغفور الرحيم فقـــال ﷺ: قد غُفر له، قد غُفر له)، وسمع آخر يقول في تشهده: (اللهم إني أســـألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لـــك المنـــان يـــا بـــديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم إنـــي أســـألك

الجنة وأعوذ بك من النار فقال النبي ﷺ لأصحابه: تدرون بما دعا؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال: والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى)، وكان من آخر ما يقوله ﷺ بين التشهد والتسليم: (اللهم اغفر لي ما قدّمت وما أخّرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر، لا إله إلا أنت)" {هذه الأدعية وغيرها وتخريجها في صفة الصلاة للعلامة الألباني ص: ١٦٣ ط.١١}، وحفظ مثل هذه الأدعية يعالج مشكلة صمت بعض الناس وراء الإمام إذا فرغوا من التشهد لأنهم لا يدرون ماذا يقولون.

(١٨) **الأذكار الواردة بعد الصلاة:** فإنه مما يعين على تثبيت أثر الخشوع في القلب وما حصل من بركة الصلاة وفائدتها، ولاشك أن من حفظ الطاعة الأولى وصيانتها إتباعها بطاعة ثانية، وكذلك فإن المتأمل لأذكار ما بعد الصلاة يجد أنها تبدأ بالاستغفار ثلاثا فكأن المصلي يستغفر ربه عما حصل من الخلل في صلاته وعما حصل من التقصير في خشوعها فيها، ومن المهم كذلك الاهتمام بالنوافل فإنها تجبر النقص في الفرائض ومنه الإخلال بالخشوع.

وبعد الكلام عن تحصيل الأسباب الجالبة للخشوع يأتي الحديث عن

ثانيا: دفع الموانع والشواغل التي تصرف عن الخشوع وتكدّر صفوه.

(١٩) إزالة ما يشغل المصلي من المكـــان: عن أنس ﷺ قال: كـــان قِرام (ستر فيه نقش وقيل ثوب ملوّن) لعائشة سترت به جانب بيتها، فقال لها النبي ﷺ: (أميطي -أزيلي- عني فإنه لا تـــزال تصـــاويره تعرض لي في صلاتي) {رواه البخاري: فتح الباري ١٠/٣٩١}.

وعن القاسم عن عائشة ﷺ أنه كان لها ثوب فيه تصاوير ممدود إلى سهوة (بيت صغير منحدر في الأرض قليلا شبيه بالمخدع أو الخزانة) فكان النبي ﷺ يصلي إليه فقال: (أخّريه عنـــي فإنـــه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي) **فأخرته فجعلته وسائد.** {رواه مسلم رحمه الله في صحيحه ٣/١٦٦٨}.

ويدل على هذا المعنى أيضا أن النبي ﷺ لمـــا دخـــل الكعبـــة ليصلي فيها رأى قرني كبش فلما صلى قال لعثمان الحجبي (إني نســـيت أن آمرك أن تخمر القرنين فإنه ليس ينبغي أن يكون في البيـــت شـــيء يشغل المصلي) {أخرجه أبو داود ٢٠٣٠، وهو في صحيح الجامع ٢٥٠٤}.

ويدخل في هذا؛ الاحتراز من الصلاة في أمـــاكن مـــرور الناس وأماكن الضوضاء، والأصوات المزعجة وبجانب المتحـــدثين وفي مجالس اللغو واللغط وكل ما يشغل البصر.

وكذلك تجنب الصلاة في أماكن الحرّ الشديد والبرد الشديد إذا أمكن ذلك فإن النبي ﷺ أمر بالإبراد في صلاة الظهر بالصيف لأجل هذا، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "إن الصلاة في شدة الحر تمنع صاحبها من الخشوع والحضور، ويفعل العبادة بتكرّه وتضجّر، فمن حكمة الشارع أن أمرهم بتأخيرها حتى ينكسر الحرّ، فيصلي العبد بقلب حاضر، ويحصل له مقصود الصلاة من الخشوع والإقبال على الله تعالى" {الوابل الصيّب ط. دار البيان ص: ٢٢}.

(٢٠) أن لا يصلي في ثوب فيه نقوش أو كتابات أو ألوان أو تصاوير تشغل المصلي: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قام النبي الله ﷺ يصلي في خميصة ذات أعلام -أي: كساء مخطط ومربّع - فنظر إلى علمها فلما قضى صلاته قال: (اذهبوا بهذه الخميصة إلى أبي جهم بن حذيفة وأتوني بأنبجانيّته -كساء ليس فيه تخطيط ولا تطريز ولا أعلام-، فإنها ألهتني آنفا في صلاتي"، وفي رواية: "شغلتني أعلام هذه"، وفي رواية: "كانت له خميصة لها علم، فكان يتشاغل بها في الصلاة" {الروايات في صحيح مسلم رقم ٥ ج: ٣٩١/١}.

ومن باب أولى أن لا يصلي في ثياب فيها صور وخصوصا ذوات الأرواح كما شاع وانتشر في هذا الزمان.

(٢١) **أن لا يصلي وبحضرته طعام يشتهيه:** وقال رسول الله ﷺ: (لا صلاة بحضرة طعام) {رواه مسلم رقم ٥٦٠}.

فإذا وُضع الطعام وحضر بين يديه أو قُدِّم له، بدأ بالطعام لأنه لا يخشع إذا تركه وقام يصلي ونفسه متعلِّقة به. بل إن عليه أن لا يعجل حتى تنقضي حاجته منه لقوله ﷺ: (إذا قرِّب العَشاء وحضرت الصلاة، فابدؤا به قبل أن تصلوا صلاة المغرب، ولا تعجلوا عن عشائكم)، وفي رواية: (إذا وُضع عشاء أحدكم وأقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء ولا يعجلنّ حتى يفرغ منه) {متفق عليه، البخاري كتاب الأذان، باب إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة، وفي مسلم رقم ٥٥٧-٥٥٩}.

(٢٢) **أن لا يصلي وهو حاقن أو حاقب:** لاشكّ أن مما ينافي الخشوع أن يصلي الشخص وقد حصره البول أو الغائط ولذلك (نهى رسول الله ﷺ أن يصلي الرجل وهو حاقن)، والحاقن أي الحابس البول {رواه ابن ماجه في سننه رقم ٦١٧، وهو في صحيح الجامع رقم ٦٨٣٢}. والحاقب هو حابس الغائط.

ومن حصل له ذلك فعليه أن يذهب إلى الخلاء لقضاء حاجته ولو فاته ما فاته من صلاة الجماعة فإن النبي ﷺ قال: (إذا أراد أحدكم أن يذهب الخلاء وقامت الصلاة فليبدأ بالخلاء) {رواه أبو داود رقم ٨٨ وهو في صحيح الجامع رقم ٢٩٩}.

بل إنه إذا حصل له ذلك أثناء الصلاة فإنــه يقطــع صـــلاته لقضاء حاجته ثم يتطهر ويصلي لأن النبي ﷺ قال: (لا صلاة بحضـــرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان) {صحيح مسلم رقم ٥٦٠ وهــذه المدافعــة بـــلا ريب تذهب بالخشوع}، ويشمل هذا الحكم أيضا مدافعة الريح.

(٢٣) أن لا يصلي وقد غلبه النّعاس: عن أنس بن مالـــك ﷺ قـــال، قال رسول الله ﷺ: (إذا نعس أحدكم في الصلاة فلينم حتى يعلم مـــا يقول) {أي فليرقد حتى يذهب عنه النوم. رواه البخاري رقم ٢١٠}.

وقد جاء ذكر السبب في ذلك: فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (إذا نعس أحدكم، وهو يصلي فليرقد، حتـــى يذهب عنه النوم فإن أحدكم إذا صلى وهو نـــاعس لا يـــدري لعلـــه يستغفر فيسب نفسه) {رواه البخاري رقم ٢٠٩}.

وقد يحصل هذا في قيام الليل وقد يصادف ساعة إجابة فيـــدعو على نفسه وهو لا يدري، ويشمل هذا الحديث الفرائض أيضـــا إذا أمِـــن بقاء الوقت {فتح الباري: شرح كتاب الوضوء: باب الوضوء من النوم}.

(٢٤) أن لا يصلي خلف المتحدث أو (النائم): لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك فقال: (لا تصلوا خلف النائم ولا المتحدث) {رواه أبو داود رقم ٦٩٤ وهو في صحيح الجامع رقم ٣٧٥ وقال حديث حسن}.

لأن المتحدث يلهي بحديثه والنائم قد يبدو منه ما يلهي.

قال الخطابي رحمه الله: "أما الصلاة إلى المتحدثين فقد كرهها الشافعي وأحمد بن حنبل وذلك من أجل أن كلامهم يُشغل المصلي عن صلاته" {عون المعبود ٣٨٨/٢}.

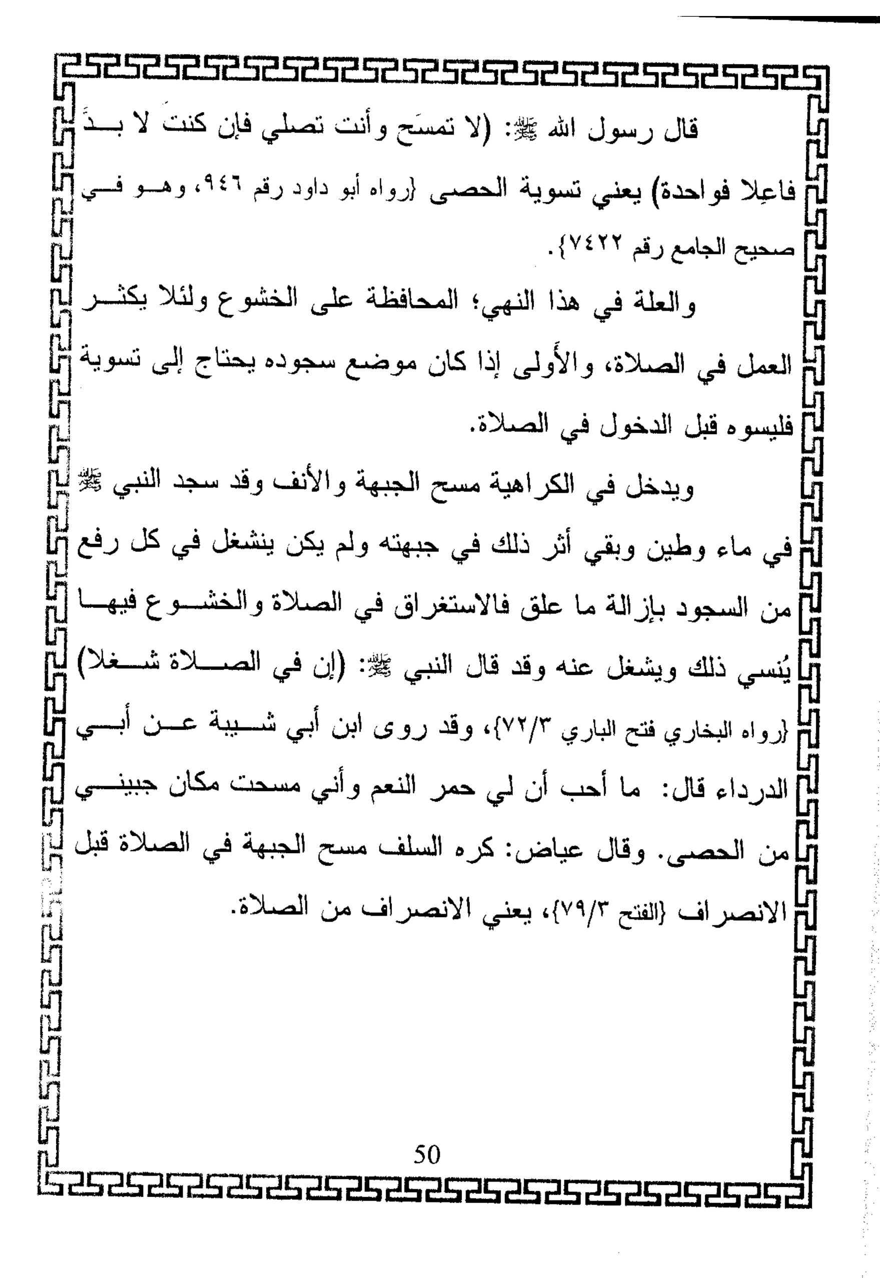
أما أدلة النهي عن الصلاة خلف النائم فقد ضعّفها عدد من أهل العلم منهم أبو داود في سننه كتاب الصلاة: تفريع أبواب الوتر: باب الدعاء، وابن حجر في فتح الباري شرح باب الصلاة خلف النائم: كتاب الصلاة.

وقال البخاري -رحمه الله تعالى- في صحيحه: باب الصلاة خلف النائم، وساق حديث عائشة ﵂: كان النبي ﷺ يصلي وأنا راقدة معترضة على فراشه.. {صحيح البخاري: كتاب الصلاة}.

"وكره مجاهد وطاوس ومالك الصلاة إلى النائم خشية أن يبدو منه ما يلهي المصلي عن صلاته.." {فتح الباري الموضع السابق}.

فإذا أُمن ذلك فلا تُكره الصلاة خلف النائم والله أعلم.

(٢٥) عدم الانشغال بتسوية الحصى: روى البخاري رحمه الله تعالى عن معيقيب ﵁: (أن النبي ﷺ قال في الرجل يسوي التراب حيث يسجد قال: إن كنت فاعلا فواحدة) {فتح الباري ٧٩/٣}.



قال رسول الله ﷺ: (لا تمسَح وأنت تصلي فإن كنتَ لا بـدَّ فاعِلا فواحدة) يعني تسوية الحصى {رواه أبو داود رقم ٩٤٦، وهو في صحيح الجامع رقم ٧٤٢٢}.

والعلة في هذا النهي؛ المحافظة على الخشوع ولئلا يكثر العمل في الصلاة، والأولى إذا كان موضع سجوده يحتاج إلى تسوية فليسوه قبل الدخول في الصلاة.

ويدخل في الكراهية مسح الجبهة والأنف وقد سجد النبي ﷺ في ماء وطين وبقي أثر ذلك في جبهته ولم يكن ينشغل في كل رفع من السجود بإزالة ما علق فالاستغراق في الصلاة والخشوع فيها يُنسي ذلك ويشغل عنه وقد قال النبي ﷺ: (إن في الصلاة شغلا) {رواه البخاري فتح الباري ٧٢/٣}، وقد روى ابن أبي شيبة عن أبي الدرداء قال: ما أحب أن لي حمر النعم وأني مسحت مكان جبيني من الحصى. وقال عياض: كره السلف مسح الجبهة في الصلاة قبل الانصراف {الفتح ٧٩/٣}، يعني الانصراف من الصلاة.

وكما أن المصلي ينبغي أن يحترز مما يشغله عن صلاته كما مرّ في النقاط السابقة فكذلك عليه أن يلتزم بعدم التشويش على المصلين الآخرين ومن ذلك:

(٢٦) عدم التشويش بالقراءة على الآخرين: قال رسول الله ﷺ: (ألا إن كلكم مناخ ربه، فلا يؤذين بعضكم بعضا، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة) أو قال (في الصلاة) {رواه أبو داود ٢/٨٣، وهو في صحيح الجامع رقم ٧٥٢}، وفي رواية: (لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن) {رواه الإمام أحمد ٢/٣٦ وهو في صحيح الجامع ١٩٥١}.

(٢٧) ترك الالتفات في الصلاة: لحديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يزال الله عز وجل مقبلا على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت، فإذا التفت انصرف عنه) {رواه أبو داود رقم ٩٠٩، وهو في صحيح أبي داود}.

والالتفات في الصلاة قسمان:

الأول: التفات القلب إلى غير الله عز وجل.

الثاني: التفات البصر، وكلاهما منهي عنه وينقص من أجر الصلاة، وقد سئل رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال: (اختلاس

يختلسه الشيطان من صلاة العبد) {رواه البخـاري: كتـاب الأذان بـاب: الالتفات في الصلاة}.

"ومثل من يلتفت في صلاته ببصره أو قلبـه مثـل رجـل استدعاه السلطان فأوقفه بين يديه وأقبل يناديه ويخاطبه، وهـو فـي خلال ذلك يلتفت عن السلطان يمينا وشمالا، وقد انصرف قلبه عـن السلطان فلا يفهم ما يخاطبه به لأن قلبه ليس حاضرا معه فما ظـنّ هذا الرجل أن يفعل به السلطان؟.

أفليس أقل المراتب في حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتـا مبعدا قد سقط من عينيه ،فهذا المصلي لا يسـتوي والحاضـر القلـب المقبل على الله تعالى في صلاته الذي قد أشعر قلبه عظمة مـن هـو واقف بين يديه فامتلأ قلبه من هيبته وذلت عنقه له، واستحيا من ربـه أن يقبل على غيره أو يلتفت عنه وبين صلاتيهما كما قال حسـان بـن عطية: إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة، وإن مـا بينهمـا فـي الفضل كما بين السماء والأرض، وذلك أن أحدهما مقبل بقلبه علـى الله عز وجل والآخر ساهٍ غافل" {الوابل الصيب لابن القيم. دار البيان ص: ٣٦}.

وأما الالتفات "لحاجة فلا بأس به، روى أبو داود عن سهل ابن الحنظلية قال: (ثُوِّبَ بالصلاة -صلاة الصبح- فجعل رسول الله ﷺ يصلي وهو يلتفت إلى الشعب). قال أبو داود: (وكان أرسل فارسا من الليل إلى الشعب يحرس)، وهذا كحمله أمامة بنت أبي العاص،.. وفتحه الباب لعائشة ونزوله من المنبر لما صلى بهم يعلمهم، وتأخره في صلاة الكسوف، وإمساكه الشيطان وخنقه لما أراد أن يقطع صلاته، وأمره بقتل الحية والعقرب في الصلاة، وأمره بردّ المار بين يدي المصلي ومقاتلته، وأمره النساء بالتصفيق وإشارته في الصلاة وغير ذلك من الأفعال التي تُفعل لحاجة، ولو كانت لغير حاجة كانت من العبث - المنافي للخشوع- المنهي عنه في الصلاة" {مجموع الفتاوى ٢٢/٥٥٩}.

(٢٨) **عدم رفع البصر إلى السماء:** وقد ورد النهي عن ذلك والوعيد على فعله في قوله ﷺ: (إذا كان أحدكم في الصلاة فلا يرفع بصره إلى السماء، أن يلتمع بصره) {رواه أحمد ٥/٢٩٤، وهو في صحيح الجامع رقم ٧٦٢}، وفي رواية: (ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم [وفي رواية: عن رفعهم أبصارهم عند الدعاء في الصلاة

{رواه مسلم رقم ٤٢٩}، فاشتد قوله في ذلك حتى قال: (لينتهنّ عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم) {رواه الإمام أحمد ٢٥٨/٥ وهو في صحيح الجامع ٥٥٧٤}.

(٢٩) أن لا يبصق أمامه في الصلاة: لأنه مما ينافي الخشوع في الصلاة والأدب مع الله لقوله ﷺ: (إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق قِبَل وجهه فإن الله قِبَل وجهه إذا صلى) {رواه البخاري في صحيحه رقم ٣٩٧}.

وقال: (إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق أمامه ،فإنما يناجي الله -تبارك وتعالى- ما دام في مصلاه، ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكا، وليبصق عن يساره ،أو تحت قدمه فيدفنها) {رواه البخاري:الفتح رقم ٥١٦ -١/٥١٢}.

وقال: (إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنما يناجي ربه، وإن ربه بينه وبين قبلته، فلا يبزقن أحدكم في قبلته، ولكن عن يساره أو تحت قدمه) {رواه البخاري الفتح الباري رقم ٤١٧ -١/٥١٣}.

وإذا كان المسجد مفروشا بالسجاد ونحوه كما هو الغالب في هذا الزمان فيمكنه إذا احتاج أن يُخرج منديلا ونحوه فيبصق فيه ويردّه.

(٣٠) مجاهدة التثاؤب في الصلاة: قال رسول الله ﷺ: (إذا تثاءَب أحدُكم في الصلاة فليكظِم ما استطاع فإن الشيطان يدخل) {رواه مسلم

٢٢٩٣/٤}، وإذا دخل الشيطان يكون أقدر على التشويش على خشوع المصلي بالإضافة إلى أنه يضحك من المصلي إذا تثاءب.

(٣١) عدم الاختصار في الصلاة: عن أبي هريرة قال: (نهى رسول الله ﷺ عن الاختصار في الصلاة) {رواه أبو داود رقم ٩٤٧ وهو في صحيح البخاري كتاب العمل في الصلاة، باب الخصر في الصلاة}، والاختصار هو أن يضع يديه على خصره.

فعن زياد بن صبيح الحنفي قال: صليت إلى جنب ابن عمر فوضعت يدي على خاصرتي فضرب يدي فلما صلى قال هذا الصّلب في الصلاة وكان رسول الله ﷺ ينهى عنه {رواه الإمام أحمد ١٠٦/٢ وغيره وصححه الحافظ العراقي في تخريج الإحياء: انظر الإرواء ٩٤/٢}.

وقد جاء في حديث مرفوع أن التخصّر راحة أهل النار والعياذ بالله رواه البيهقي عن أبي هريرة مرفوعا. قال العراقي: ظاهر إسناده الصحة.

(٣٢) ترك السدل في الصلاة: لما ورد أن رسول الله ﷺ: (نهى عن السدل في الصلاة وأن يغطي الرجل فاه). {رواه أبو داود رقم ٦٤٣، وهو في صحيح الجامع رقم ٦٨٨٣، وقال حديث حسن في عون المعبود ٣٤٧/٢}.

قال الخطّابي: السدل؛ إرسال الثوب حتى يصيب الأرض.

ونقل في (مرقاة المفـاتيح ٢/٢٣٦): السدل منهي عنه مطلقا لأنـه مـن الخيلاء وهو في الصلاة أشنع وأقبح. وقـال صـاحب النهايـة: أي يلتحف بثوبيه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد. وقيل إن كانـت اليهود تفعله. وقيل السدل: أن يضع الثوب علـى رأسـه أو كتفـه ويرسل أطرافه أمامه أو على عضديه فيبقى منشغلا بمعالجته فيخل بالخشوع بخلاف ما لو كان مربوطا أو مزررا لا يُخشى من وقوعه فلا يُشغل المصلي حينئذ ولا ينافي الخشوع. ويوجد في بعض ألبسة الناس اليوم من بعض الأفارقة وغيرهم وفي طريقة لـبس بعـض المشالح والأردية ما يبقي المصلي مشغولا في أحيان مـن صـلاته برفع ما وقع أو ضم ما انفلت وهكذا فينبغي التنبه لذلك.

أما النهي عن تغطية الفم فمن العلل التي ذكرها العلماء في النهـي عنه أنه يمنع حسن إتمام القراءة وكمال السجود (مرقاة المفاتيح ٢/٢٣٦).

(٣٣) ترك التشبه بالبهائم: لمّا أن الله كرّم ابن آدم وخلقه في أحسن تقويم، كان من المعيب أن يتشبه الآدمي بالبهائم وقـد نهينـا عـن مشابهة عدد من هيئات البهائم وحركاتها في الصلاة لما في ذلك من

منافاة الخشوع أو قبح الهيئة التي لا تليق بالمصلي، فمما ورد في ذلك: (نهى رسول الله ﷺ في الصلاة عن ثلاث: عن نقر الغراب وافتراش السبع وأن يوطن الرجل المقام الواحد كإيطان البعير) {رواه أحمد ٤٢٨/٣}، قيل معناه أن يألف الرجل مكانا معلوما من المسجد مخصوصا به يصلي فيه كالبعير لا يُغير مناخه فيوطنه {الفتح الرباني ٩١/٤}، وفي رواية: (نهاني عن نقرة كنقرة الديك، وإقعاء كإقعاء الكلب، والتفات كالتفات الثعلب) {رواه الإمام أحمد٣١١/٢، وهو في صحيح الترغيب رقم٥٥٦}.

هذا ما تيسر ذكره من الأسباب الجالبة للخشوع لتحصيلها والأسباب المشغلة عنه لتلافيها.

وإن من عظم مسالة الخشوع وعلوّ قدرها عند العلماء أنهم ناقشوا القضية التالية.

مسألة: فيمن كثرت الوساوس في صلاته، هل تصح أم عليه الإعادة

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: فإن قيل ما تقولون في صلاة من عدم الخشوع، هل يعتد بها أم لا؟.

قيل: أما الاعتداد بها في الثواب: فلا يعتد بها، إلا بما عقل فيه منها، وخشع فيه لربه.

قال ابن عباس: ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها.

وفي المسند مرفوعا: إن العبد ليصلي الصلاة، ولم يكتب له إلا نصفها، أو ثلثها أو ربعها حتى بلغ عشرها.

فقد علق الله فلاح المصلين بالخشوع في صلاتهم، فدل على أن من لم يخشع فليس من أهل الفلاح، ولو اعتُدَّ له بها ثوابا لكان من المفلحين، وأما الاعتداد بها في أحكام الدنيا، وسقوط القضاء فإن غلب عليها الخشوع، وتعقلها اعتد بها إجماعا، وكانت من السنن والأذكار عقيبها (بعدها) جوابر ومكملات لنقصها.

وإن غلب عليها عدم الخشوع فيها وعدم تعقلها فقد اختلف الفقهاء في وجوب إعادتها، فأوجبها ابن حامد من أصحاب أحمد، ومن هذا أيضا اختلافهم في الخشوع في الصلاة وفيه قولان للفقهاء، وهما في مذهب أحمد وغيره.

وعلى القولين: اختلافهم في وجوب الإعادة على من غلب عليه الوسواس في صلاته، فأوجبها ابن حامد من أصحاب أحمد ولم يوجبها أكثر الفقهاء.

واحتجوا بأن النبي ﷺ أمر من سها في صلاته بسجدتي السهو ولم يأمره بالإعادة مع قوله: (إن الشيطان يأتي أحدكم في صلاته فيقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر، حتى يُضل الرجل أن يدري كم صلى).

ولكن لا نزاع أن هذه الصلاة لا ثواب على شيء منها إلا بقدر حضور قلبه وخضوعه، كما قال ﷺ: (إن العبد لينصرف من الصلاة، ولم يكتب له إلا نصفها، ثلثها، ربعها، حتى بلغ عشرها).

وقال ابن عباس: (ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها) فليست صحيحة باعتبار ترقب كمال مقصودها عليها وإن سميت صحيحة باعتبار أنا لا نأمره بالإعادة {مدارج السالكين ١/١١٢}.

وقد ثبت عن النبي ﷺ في الصحيح أنه قال: (إذا أذن المؤذن بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط، حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى التأذين أقبل، فإذا ثُوِّبَ بالصلاة أدبر، فإذا قضى التثويب أقبل، حتى

يخطر بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا اذكر كذا، ما لم يكن يذكر، حتى يظل لا يدري كم صلى، فإذا وجد أحدكم ذلك فليسجد سجدتين وهو جالس)، قالوا :فأمره النبي في هذه الصلاة التي قد أغفله الشيطان فيها، حتى لم يدر كم صلى بأن يسجد سجدتي السهو، ولم يأمره بإعادتها، ولو كانت باطلة -كما زعمتم- لأمره بإعادتها.

قالوا: وهذا هو السر في سجدتي السهو، ترغيما للشيطان في وسوسته للعبد، وكونه حال بينه وبين الحضور في الصلاة، ولهذا سماها النبي المرغمتين {مدارج السالكين ١/٥٢٨-٥٣٠}.

فإن أردتم وجوب الإعادة: لتحصل هذه الثمرات والفوائد فذاك كله إليه إن شاء أن يحصلها وإن شاء أن يفوتها على نفسه.

وإن أردتم بوجوبها أنا نلزمه بها ونعاقبه على تركها ونرتب عليه أحكام تارك الصلاة فلا، وهذا هو أرجح القولين، والله أعلم.

خاتمة

أمر الخشوع كبير، وشأنه خطير، ولا يتأتى إلا لمن وفقه الله لذلك، وحرمان الخشوع مصيبة كبيرة وخطب جلل ولذلك كان النبي ﷺ يقول في دعائه: (اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع..) {رواه الترمذي ٥/٤٨٥ رقم ٣٤٨٢}، وهو في صحيح سنن الترمذي ٢٧٦٩}.

والخاشعون درجات، والخشوع من عمل القلب يزيد وينقص فمنهم من يبلغ خشوعه عنان السماء ومن يخرج من صلاته لم يعقل شيئا"

والناس في الصلاة على مراتب خمسة:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثاني: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكنه قد ضيّع مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوساوس والأفكار.

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجهادة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يضيع شيئا منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه عز وجل، ناظرا بقلبه إليه، مراقبا له، ممتلئا من محبته وعظمته، كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوساوس والخطرات، وارتفعت حجبها بينه وبين ربه ،فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أعظم مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه عز وجل قرير العين به.

فالقسم الأول معاقب، **والثاني** محاسب، **والثالث** مكفّر عنه، **والرابع** مثاب، **والخامس** مقرّب من ربّه، لأن له نصيبا ممن جُعلت قرّة عينه في الصلاة، فمن قرّت عينه بصلاته في الدنيا، قرّت عينه بقربه من ربّه عز وجل في الآخرة، وقرّت عينه أيضا به في الدنيا، ومن قرت عينه بالله قرّت به كل عين، ومن لم تقرّ عينه بالله تعالى تقطعّت نفسه على الدنيا حسرات" {الوابل الصيب ص: ٤٠}.

وختاما أسأل الله عز وجل أن يجعلنا من الخاشعين وأن يتوب علينا أجمعين، وأن يجزي بالخير من ساهم في هذه الرسالة وأن ينفع من قرأ فيها آمين، والحمد لله رب العالمين.

الفهرس